

سوف يتم في هذه المادة دراسة عقيدة الثالوث في الفكر المسيحي, مما يجعل الدارس يخطط ويحلل في شخصية الله مثلث الأقانيم كما جاءت في كلمة الله. والله الثالوث نستطيع في بعض الأوقات أن نراه متجليًا واضحًا في الكلمة المقدسة, وفي أوقات أخرى لا يكون بنفس الوضوح.

وسيقوم الطالب بدراسة الكثير من الأمور التي تخص الله الثالوث مثل العلاقة الأزلية بين الأب والابن والروح القدس, وبعض المصطلحات الثالوثية المشهورة مثل أقنوم, الأبوة, الأزلية, الانبثاق, وأيضًا الميلاد العذروي. وسيتم ذلك من خلال دراسة المعاني اللغوية في العهدين الجديد والقديم, ووجهة نظر اللاهوت الكتابي والنظامي والتاريخي للعقيدة.

في خلال دراسة اللاهوت عمومًا وهذه المادة بالأخص, سنتطرق إلى عدة مصطلحات أولهم تاريخ الكنيسة, وتاريخ الكنيسة يبدأ من صعود المسيح للسماوات وحتى الآن, مرورًا بانطلاق حركة الرهبنة والآباء والقديس أنطونيوس والمجامع اللاهوتية, وبعد ذلك أنقسام الكنيسة الغربية عن الشرقية والعصور المظلمة ثم العصور الوسطى وبعدها حركة الإصلاح, وأخيرًا الحركة المسكونية.

ومصطلح آخر هو اللاهوت الكتابي, واللاهوت الكتابي هو اللاهوت الذي يهتم بدراسة سرد القصة بحسب سياقها النصي في الكتاب, ولا يهتم بدراستها كعقيدة. عندما ندرس حادثة برج بابل في تكوين 11 من خلال لاهوت كتابي, فهذا يعني أننا سندرس النص في تكوين 11 ومعنى كلماته في لغتها الأصلية, وكيف فهم المستمعون هذه الكلمات وماهي هي خلفيته النص التاريخية. يأتي بعد دراسة اللغة والخلفية, دراسة السياق المباشر أو القرينة القريبة من النص, فلكي ندرس تكوين 11 يجب أن نبدأ من تكوين 1 ونطرح على أنفسنا سؤال مثل: ماذا أضاف تكوين 11 للنص في تكوين 1. ثم ندرس تكوين 11 في ضوء السياق الأكبر غير المباشر, الذي هو كلمة الله. فما هو دور تكوين 11 في قصة الفداء؟ وماذا تضيف لقصة الكتاب المقدس كلها.

وأيضًا مصطلح اللاهوت النظامي، واللاهوت النظامي هو اللاهوت الذي يأخذ عقائد بطريقة مجمعة من اللاهوت الكتابي. مثل الغفران في سفر التكوين، أو الغفران في سفر الخروج، وفي هذه الحالة سوف يقوم الدارس بدراسة أسفار في اللاهوت النظامي. واللاهوت النظامي عادةً يركز على آراء اللاهوتيين، مثل الكفارة عند أغسطينوس، أو العشاء الرباني عند كلفن.

لا يمكن للاهوت النظامي أن يعمل بمعزل عن اللاهوت الكتابي، فاللاهوتي النظامي يبدأ حيث أنتهى اللاهوت الكتابي.

ثم نأتي إلى اللاهوت التاريخي، وهو اللاهوت الذي يتتبع التغيير في العقائد تاريخيًا ومدى تطورها. على سبيل المثال كيف أبتدأ عشاء الرب في الكنيسة، وماذا حدث في العصور الأولى للمسيحية مرورًا بتطور العقيدة في العصور الوسطى، كيف أصبحت بعد ذلك. فتاريخ الكنيسة مجرد أحداث، لكن اللاهوت التاريخي هو لاهوت مرتبط بالكنيسة تاريخيًا. فتاريخ الكنيسة هدفه أن يطلعني على أحداث تمت، واللاهوت التاريخي يقول لي لماذا تمت هذه الأحداث. وعالم اللاهوت التاريخي هو الشخص الذي يقرأ لأغسطينوس وبعده ب 400 عام ماذا قال توماس عن نفس العقيدة، ويرى هل هناك فرق؟ وإن وجد، من أين جاء؟

ثم أخيرًا اللاهوت الرعوي الذي يعلمنا كيف نرعى الناس بناء على احتياجاتهم. فعندما ندرس عن الخطية نظاميًا – أي عن طريق اللاهوت النظامي – ندرس عن آراء لوثر وكلفن وأغسطينوس في الأمر. ولكن اللاهوت الرعوي يكلمنا عن كيفية معاملة الناس كخطاة يحتاجون للتبرير، وكيف أن عجزهم وفسادهم الشامل وموتهم يحتاج إلى الله لكي يصل بنفسه مبادرًا إليهم.

في السابق تعرضنا لمصطلحات هامة في علم اللاهوت, فقد تعرفنا عن معنى مصطلح اللاهوت الكتابي, وعن اللاهوت النظامي, وعن معنى اللاهوت التاريخي, وعن تاريخ الكنيسة, واللاهوت الرعوي.

تتميز كل الكنائس بأنها تحتوي على ما يسمى الطقس, الطقس هو ترتيب العبادة. وأي كنيسة فيها ترتيب للعبادة سواء كان معنن بطريقة ظاهرية أو غير معنن. وهذا يجعلنا نصل إلى ما يسمى باللاهوت الطقسي أو "الليتورجي", فالكنيسة المشيخية بها طقس, والكنيسة الأسقفية ككنيسة إصلاحية بها طقس أيضًا ودستور. والطقس ليس فقط دستور, بل كما ذكرنا سابقًا هو نظام عبادة معين, لذا يجب علينا أن ننقل من فكرة أن الكنائس الأرثوذكسية فقط أو الكاثوليكية هي التي تستخدم الليتورجية حتى الآن, وذلك لأن كنائس مثل الأسقفية أو المشيخية بها نُظم للعبادة وكتاب للصلاة.

وهناك أيضًا اللاهوت الأدبي, وهو يندرج تحت اللاهوت النظامي, وهي ما يتكلم عن علم الأخلاق المسيحية. واللاهوت المقارن – وهو تحت اللاهوت النظامي أيضًا – وفيه نتعلم كيف نقارن بين الآراء المختلفة.

سنقوم في هذا المنهاج بدراسة معنى كلمة لاهوت سواء في المسيحية أو الأديان الأخرى, واللاهوت هو علم الكلام عن الله – سواء في الإسلام أو المسيحية – والكلمة بالإنجليزية هي Theology ثيولوجي, وهي مأخوذة من كلمة يونانية "ثيولوجيا" وهذه الكلمة مقسمة إلى كلمتين ثيو (أي الله) ولوجيا (أي كلام), فاللاهوت هو الكلام عن الله Acquaint of .God

هناك فرق بين كلمة لاهوت (كلام عن الله), وبين لاهوت بمعنى أقنوم, وعلى كلٍ فالكلمة بمعانيها لم تورد في الكتاب المقدس بجملة. ولكن الكلمة لها أصل تاريخي يبدأ من سنة

200 ميلادياً في الكتب المسيحية القديمة للدلالة عن الكلام عن الله, ويمكننا أيضاً أن نجدها في كتابات القديس أناسيوس, وأيضاً نجد القديس أغسطينوس يستخدمها للكلام عن شخص الله مثلث الأقانيم, وفي عصر آباء الكنيسة نجد الكلمة تستخدم في وصف الله أو الكلام عنه, ولا تستخدم في الكلام عن التعليم الكنسي عامة, وفي غير المسيحية فالكلمة كانت رائجة ومستخدمة في العبادات الوثنية.

وفي العصور الوسطى ظهر ما يسمى "سكولا سمارم" وهي مأخوذة من طريقة الدراسة أو المدارس الفكرية, وكان في الثمانينيات أو التسعينيات يقدم اللاهوت كعلم في المعاهد والكليات وليس من الضروري داخل الكنيسة. وهذا يعني أنه في البداية كان اللاهوت عبارة عن تعبد وكلام عن الله وكيونة الله وعندما انفصلت المدارس الفكرية والجامعات أصبح الدارس يدرس لاهوت كعلم مجرد وفلسفة.

في البداية كان اللاهوت عبارة عن تعبد وإيمان ثم بعد ذلك أصبح إيمان ممزوج بمعرفة وعلم, وبدأ الانفصال ما بين اللاهوت الإيماني الروحي والفلسفة كأمر عقلائي. ومن هنا زادت هذه التفرقة وتطورت أكثر وأصبحت تفرقة ما بين الإيمان والعقل, وهذه التفرقة كانت موجودة في البداية وعندما كان يوجد شخص يتكلم في لاهوت الكنيسة كان يُعتقد أنه يتكلم عن غيبيات.

ولكي أفهم علم اللاهوت لابد من مصادر استقي منها معلوماتي عنه, وبما أن اللاهوت يتكلم عن الله فلا بد أن يكون الله هو المصدر الرئيسي, ولأنني لا أستطيع أن أصل إلى الله فلا بد وأن يصل هو لي, من أعلى لأسفل وليس العكس.

وعندما نقرأ (مز 19 : 1-10) نجد أن هناك طريقتين من خلالهما نتعلم عن الله, أولهم هو شيء يعكس مجد الله, شيء يتكلم الله من خلاله للبشر "السموات تحدث بمجد الله ... " فهنا لا يوجد كلام لا مكتوب ولا مسموع, لكن هناك إعلان من السماء والفلك عن الله يتكلم. ولأن

الكل يرى هذا الإعلان فهو يسمى الإعلان العلني أو العام General Reevaluation. ومن ضمن الإعلان العام معرفة داخلية في الإنسان سواء كان مسيحي أو مسلم أو ملحد، تجعله يدرك بشكل ما الصواب من الخطأ، وأن هناك خالق. ثم نجد إعلان آخر عن طريق ناموس الرب الكامل (عدد7) وهذا الكلام أو الإعلان هو إعلان خاص لشعب خاص (اليهود) ويسمى Special Revilation.

الله يتكلم عن طريق الإعلان العام، الخليقة وبصمته التي فيها، والإعلان الخاص الذي هو لشعب معين. ولكن الإعلان العام لا يمكن أن يكون كافيًا، فهو يكلمنا عن وجود إله، ولا يعرفنا على هذا الإله بمعرفة شخصية، الإعلان العام يخبرني أن ابحت لنفسي عن هدف، ولا يقول لي ماهو هذا الهدف.

ومصطلح آخر هو اللاهوت الكتابي، واللاهوت الكتابي هو اللاهوت الذي يهتم بدراسة سرد القصة بحسب سياقها النصي في الكتاب، ولا يهتم بدراستها كعقيدة. عندما ندرس حادثة برج بابل في تكوين 11 من خلال لاهوت كتابي، فهذا يعني أننا سندرس النص في تكوين 11 ومعنى كلماته في لغتها الأصلية، وكيف فهم المستمعون هذه الكلمات وماهي هي خلفيته النص التاريخية. يأتي بعد دراسة اللغة والخلفية، دراسة السياق المباشر أو القرينة القريبة من النص، فلكي ندرس تكوين 11 يجب أن نبدأ من تكوين 1 ونطرح على أنفسنا سؤال مثل: ماذا أضاف تكوين 11 للنص في تكوين 1. ثم ندرس تكوين 11 في ضوء السياق الأكبر غير المباشر، الذي هو كلمة الله. فما هو دور تكوين 11 في قصة الفداء؟ وماذا تضيف لقصة الكتاب المقدس كلها.

وأيضًا مصطلح اللاهوت النظامي، واللاهوت النظامي هو اللاهوت الذي يأخذ عقائد بطريقة مجمعة من اللاهوت الكتابي. مثل الغفران في سفر التكوين، أو الغفران في سفر الخروج، وفي هذه الحالة سوف يقوم الدارس بدراسة أسفار في اللاهوت النظامي. واللاهوت

النظامي عادةً يركز على آراء اللاهوتيين, مثل الكفارة عند أغسطينوس, أو العشاء الرباني عند كلفن.

لا يمكن للاهوت النظامي أن يعمل بمعزل عن اللاهوت الكتابي, فاللاهوتي النظامي يبدأ حيث أنتهى اللاهوت الكتابي.

ثم نأتي إلى اللاهوت التاريخي, وهو اللاهوت الذي يتتبع التغيير في العقائد تاريخياً ومدى تطورهما. على سبيل المثال كيف أبتدأ عشاء الرب في الكنيسة, وماذا حدث في العصور الأولى للمسيحية مروراً بتطور العقيدة في العصور الوسطى, كيف أصبحت بعد ذلك. فتاريخ الكنيسة مجرد أحداث, لكن اللاهوت التاريخي هو لاهوت مرتبط بالكنيسة تاريخياً. فتاريخ الكنيسة هدفه أن يطلعني على أحداث تمت, واللاهوت التاريخي يقول لي لماذا تمت هذه الأحداث. وعالم اللاهوت التاريخي هو الشخص الذي يقرأ لأغسطينوس وبعده ب 400 عام ماذا قال توماس عن نفس العقيدة, ويرى هل هناك فرق؟ وإن وجد, من أين جاء؟

ثم أخيراً اللاهوت الرعوي الذي يعلمنا كيف نرعى الناس بناء على احتياجاتهم. فعندما ندرس عن الخطية نظامياً – أي عن طريق اللاهوت النظامي – ندرس عن آراء لوثر وكلفن وأغسطينوس في الأمر. ولكن اللاهوت الرعوي يكلمنا عن كيفية معاملة الناس كخطاة يحتاجون للتبرير, وكيف أن عجزهم وفسادهم الشامل وموتهم يحتاج إلى الله لكي يصل بنفسه مبادراً إليهم.

كلمة لاهوت نجدها في الإنجليزية Theology ثيولوجي, من الكلمة ثيولوجيا وهي كلمة مقسمة إلى مقطعين, ثيو أي الله, ولوجيا أي قصة عن أو سجل أحداث معينة. وفي الماضي الكنيسة وحدها هي من كانت تصيغ هذا اللاهوت. اللاهوت على مر العصور هو من يصيغ العبادة, فمن يصيغ لاهوته هو وحده القادر هو وحده القادر على عبادة الله وحده.

نستطيع أن نجد اللاهوت في مصدرين أساسيين، الإعلان العام، والخاص. وبالنسبة للإعلان العام فهو إعلان محدود، إعلان غير كافي للخلاص، إعلان به نستطيع أن نعرف أنه يوجد خالق، ولكن لا نستطيع به أن ندرك من هذا الخالق، ولا عمل المسيح على الصليب وفدائه. فالإعلان العام يقدم صورة غير كاملة عن الله، صورة مشوشة، وهذا التشويش ليس بسبب الإعلان العام بل بسبب الخطية الساكنة في الإنسان وفساده. واختصارًا الإعلان العام يترك الإنسان بسؤال، أما الإعلان الخاص هو العدسة التي تجيب على هذه التساؤلات.

الله على مر العصور يبدأ مبادرًا معلنًا عن نفسه في إعلان خاص سواء لفرد أو لمجموعة معينة يختارها. وهذا الإعلان الخاص عندما يأتي لفرد ما – من خلال كلمة الله – يستطيع وقتها أن يستمتع بالإعلان العام، من خلال نظره للطبيعة فيجد فيها الإله المعلن عنه في الإعلان الخاص. وعندما يختار الله بمحض إرادته مجموعة معينة من الأشخاص ليعلن لها ذاته بطريقة خاصة مثل بني إسرائيل في العهد القديم، فهو لا يفعل هذا لكونهم أفضل من سواهم، بل لكي يكونوا أداة توصيل إعلان الله لباقي العالم.

بالنسبة للإعلان الخاص فهو يحدث على مرحلتين، أولاً الحدث التاريخي، فعلى سبيل المثال معمودية المسيح من يوحنا هي حدث تاريخي، حدث فعلاً في وقت من الزمان، وهذا جزء من الإعلان الخاص وليس كله. الإعلان الخاص يكتمل بتعليق الله في كلمته عن طريق الوحي على هذا الحدث. فالإعلان الخاص هو الحدث وتعليق الله على هذا الحدث.

الكتاب المقدس هو إعلان الله الخاص، فهو مليء بالأحداث التاريخية كما يراها الله أو من وجهة نظره. حدث تاريخي ثم تعليق الله عليه. الكتاب المقدس لا يمكن اعتباره كتاب تاريخي، لأن هدفه هو أن يعلن الله عن ذاته من خلال أحداث تاريخية، وقد تجلى هذا الإعلان ووصل لذروته في ابنه المسيح وبالتحديد في الصليب (عب1: 1).

لا يمكن أن يكون هناك إعلان خاص جديد بعد الابن المبارك, فهو رسم جوهر الله. من
ذا الذي يستطيع أن يعلن عن الله بطريقة واضحة وخاصة أكثر من الابن يسوع المسيح. ولذلك
فنحن اليوم لا نحتاج لأي إعلان آخر به نعرف الله أكثر, وبالرغم من ذلك مازلنا نجد في الكثير
من الكنائس إجتماعات كاملة لا تذكر شيء عن المسيح, أو تتكلم عنه كشخصية تاريخية مثال
يحتذى به مثل يوسف وشمشون, وآخرين يهتموا بالرؤى والأحلام أكثر من الاهتمام بالابن,
وآخرين يكون الكتاب بالنسبة لهم مجرد أداة لكي نعرف مشيئة الله في شيء معين مهم, ارتباط,
سفر أو ما شابه ذلك. الحقيقة أن الكتاب المقدس لا يتكلم في الأساس عني أنا, بل عن الابن. في
نصفه الأول يتكلم عن الابن المنتظر, والنصف الثاني عن مجيئه.